جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مقياس سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي

محاضرة يقدمها د. سمير قريد أستاذ محاضر-أ-إلى طلبة السنة الثالثة علم اجتماع

- المحاضرة رقم 11: سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري (تابع)

نص المحاضرة

سادسا- ضعف الرابط الاجتماعي بعد الاستقلال

في عام 1962 قرر مؤتمر طرابلس انتصار الأمة الجزائرية على الاستعمار الذي عكس انتصار الطبقة العاملة على الاحتكارات الامبريالية الفرنسية وحليفها المحلي وهي البرجوازية التجارية، وانتصار طبقة الفلاحين على الاستعمار وكبار الملاكين العقاريين.

لكن عدم الاستقرار السياسي الذي ميز السنوات الأولى من الاستقلال، وضعف الدولة المنهكة بالنزاعات بين مختلف القوى من أجل السلطة، حال دون بلورة مشروع اجتماعي وسياسي يحظى بتأييد مختلف القوى الاجتماعية الفاعلة في الساحة السياسية الوطنية آنذاك **(عنصر العياشي، 1999: 104)**.

ومن جهته يؤكد "**عمار بلحسن**" أن السلطة تظهر في الجزائر ككتلة تاريخية ورثت وتابعت مبادئ التنظيم الأيديولوجي الذي صاغته وأتقنته الحركة الوطنية والثورة الجزائرية خطا وطنيا ذو نزعة فلاحية وشعبية عفوية، ترى الشعب هو القوة المعبرة للتاريخ وتقدس حركته وممارساته وماضية، وتهتدي بتراثه النضالي والثوري في منظور راديكالي ووطني من دون أية

نظرة تحليلية إلى الاختلافات والتناقضات الاجتماعية، لتحقيق نوع من الكتلة الأيديولوجية المنسجمة **(عمار بلحسن، 1999: 464)**.

أما على الصعيد الاجتماعي فقد أنتجت الحالة الاستعمارية الاستيطانية مجتمعا جديدا مفككا في روابطه الاجتماعية من سماته الأساسية الفقر والحرمان الاقتصادي والثقافي اللذان مسا أغلب أعضائه بعد عمليات نزع الملكية العنيف الذي تعرضت له الكثير من الفئات الاجتماعية الريفية على وجه التحديد، بالإضافة إلى عمليات التشريد الواسعة التي مست أغلب الجزائريين، فضلا عن الحرمان الثقافي، حيث ساد الجهل كقاعدة عامة بين مختلف الشرائح الاجتماعية بعد تحطيم الهياكل والمؤسسات العلمية التقليدية للمجتمع **(ع.ن.جابي، 2008: 95)**.

وفي الوقت نفسه أفرغ الريف من الملايين من سكانه الأصليين، الذين توجهوا نحو المدن وأجبروا على العيش في المحتشدات الجماعية، في الوقت الذي استحوذ أكثر من مليون معمر أوروبي على مقدرات البلاد الاقتصادية الاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى القضاء على كل طرق التواصل الحي مع البعد التاريخي والثقافي للمجتمع الجزائري **(علي الكنز وع.ن. جابي، 1999: 256)**.

ابتداءً من عام 1985، بدأت أسعار النفط في الانخفاض، الأمر الذي جعل الدخل النفطي عاجزا عن تلبية المطالب الاجتماعية المرتفعة باستمرار، من جراء الزيادة السكانية ومن جراء الآلة الإنتاجية المفككة التي أصبحت عاجزة عن استقبال عمالة جديدة، لدرجة أنه بُدئ التفكير جديا في تسريح العمال، كل هذا في ظل أيديولوجية استهلاكية نشطة **(علي الكنز وع.ن.جابي ، 1999: 258)**.

وفي ظل هذا الوضع تبدو العملية التوزيعية للدخل (الثروة الوطنية) وثيقة الارتباط بنمط التنمية المتبع، وبطبيعة السياسات والقرارات التي يتبناها النظام لضمان عدالة توزيع أعباء التنمية وثمارها ومدى فاعليتها، كما أن عملية توزيع الدخول والثروات تؤثر بصورة فعالة في

أنماط الإنتاج والاستهلاك الأمر الذي يؤثر بدوره في عمليات النمو والتنمية **(علي سموك 2006: 230-231)**.

يبدو أن هناك توظيف سياسي للعنصر الاقتصادي الهدف منه تعزيز مكانة الدولة في تصور الأفراد ما دام أن مختلف مطالبهم واحتياجاتهم يمكن تحقيقها عن طريق عائدات الريع البترولي وفق ديناميكية العلاقات الزبونية التي لا تستلزم أي مقابل مادي من طرف المستهلك للسلعة، كل هذا يصل إلى نتيجة أساسية هي المحافظة على استمرارية السلطة السياسية.

لا شك أن المشكلة التوزيعية في الجزائر انعكست سلبا على ذوي المداخيل المتدنية وعززت وضع الشرائح الاجتماعية الطفيلية التي لا تقدم إسهاما اقتصاديا فعليا، وتتبنى نمطا استهلاكيا تفاخريا، وساهمت في زيادة التباعد بين أقلية من الأغنياء، وغالبية الفئات التي تتخبط في البطالة والفقر والحرمان.

فضلا عن أشكال أخرى من المظالم ساهمت في إضعاف الرابط الاجتماعي، وفي زيادة عداء الأفراد للسلطات العامة المعتبرة مسؤولة عن تدهور وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، ويفسر كل ذلك أزمة الثقة بين الحكام والمحكومين.

في الوقت نفسه، جددت أغلبية السكان رباطها مع أهوال الفقر والاستبعاد الاجتماعي ففي سنة 1986، ألغيت 50000 فرصة عمل، وسنة 1987، أحصي نحو 1.5 مليون بدون عمل (أي 9% من السكان الناشطين)، وسنة 1990 تخطى عدد العاطلين عن العمل حاجز المليونين، في آخر عهد الشاذلي، كان هناك أكثر من 4 ملايين شخص بدون مداخيل، و10 ملايين من ذوي الموارد الضعيفة، بكلام آخر، هناك 14 مليون شخص، أي أكثر من نصف العدد الإجمالي للسكان يعانون من آثار الإفقار المطلق، كما أن الفئات الوسطى رأت انحلال ظروفها الاقتصادية طيلة الثمانينات **(لياس بوكراع، 2003: 93)**.

يظهر أن السياسات التنموية الخاطئة أدخلت كل منظومات المجتمع الجزائري في أزمة أدت إلى ظهور أشكال راديكالية من المواطنة السلبية، احتلت بؤرتها حركة الاحتجاجات العنيفة عن عدم تلبية بعض الحاجات الحقوقية، " وما ترتب على ذلك أن العلاقة التي سادت بين

الدولة والمجتمع اتسمت دائما بطابع عدائي متبادل، وقد تحول العنف المتبادل إلى قانون فاعل في الحياة السياسية الجزائرية، فهو نموذج من التطور التاريخي والثقافة السياسية المتأصلة في البنية الذهنية للمواطن، الأمر الذي خلق تقاليد من العنف تحكم بصفة دائمة علاقة الدولة بالمواطن" **(خ.ح.والي، 2008: 159)**.

يبدو أن الفعل التنموي ظل مرتبط بالدولة كفاعل مركزي لتنظيم العلاقات الاجتماعية من خلال الاعتماد على أسلوب التلبية المستمرة للمطالب الاجتماعية عبر سياسة توزيعية ممولة أساسا عن طريق الريع البترولي، كشف في نهاية الثمانينات عن جملة من التناقضات الاجتماعية والاقتصادية (ارتفاع جنوني للأسعار، أزمة سكن، بطالة حادة)، فانعكست سلبا على الفئات الاجتماعية المهمشة التي عبرت عن نفسها من خلال حركات احتجاجية، أخذت أشكالا تعبيرية مختلفة وعنيفة **(قريد سمير، 2018: 149)**.

المراجع

1- الكنز علي وعبد الناصر جابي .<< **الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديد**ة.>> في سليمان الرياشي [وآخرون]. **الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية**. ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة كتب المستقبل العربي11).

2- بوكراع لياس (2003). **الجزائر الرعب المقدس**.ترجمة خليل أحمد خليل، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.

3- بلحسن عمار(1999). <<**المشروعية والتوترات الثقافية في الجزائر**.>> في: سليمان الرياشي [وآخرون]. **الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية** .ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة كتب المستقبل العربي 11).

4- جابي عبد الناصر (2008). **الجزائر: الدولة والنخب: دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية**. الجزائر: منشورات الشهاب.

5- خميس حزام والي (2008). **إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية مع إشارة إلى تجربة الجزائر**. ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه 44).

6- سموك علي (2006). **إشكالية العنف في المجتمع الجزائري: من أجل مقاربة سوسيولوجية**. الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر.

7- عنصر العياشي (1999). **نحو علم اجتماع نقدي: دراسات نظرية وتطبيقية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8- قريد سمير (2018). **المجتمع المدني الجزائري وإشكالية تأسيس ثقافة المواطنة**. عمان: دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع.